مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

هـدم الأسـوار: إستراتيجية داعـش للانبعاث الجديد

علي نجات

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

هدم الأسوار: إستراتيجية داعش للانبعاث الجديد

علي نجات *

المقدمة

تُعد قضية «فك العاني»[1]، أي: تحرير الأسرى أولوية تنظيم داعش الإرهابي، إذ لا يخلو خطاب من خطابات قياداته من الإشارة إلى محورية تلك القضية. إذ استمر التنظيم في التعويل على إستراتيجية «هدم الأسوار» منذ أبي مصعب الزرقاوي الذي أسَّس جماعة «التوحيد والجهاد» التي كانت النواة الأولى لتأسيس تنظيم داعش، إلى أبي الحسن القريشي القائد الحالي لتنظيم داعش الإرهابي.

وقد بدأ التنظيم في تطبيق تلك الإستراتيجية في عام 2004 مع قيام أبي أنس الشامي بمحاولة استهداف سجن أبو غريب في العراق، غير أنَّها أتت ثمارها في عام 2013 مع نجاحه في اقتحام عدد من السجون العراقية وإطلاق سراح نحو (600) داعشي ممَّن انتقلوا إلى سوريا وعزَّزوا من نشاط التنظيم على الساحتين العراقية والسورية.

ومع تصاعد الضغط العسكري على تنظيم داعش، وفقدانه معاقله الرئيسة، فضلاً عن القبض على عدد كبير من عناصره في سوريا والعراق، تصاعد الخطاب الداعشي المحفز على تحرير الأسرى، وبرز ذلك في خطاب أبي بكر البغدادي في أيلول/سبتمبر 2019، والذي جاء تحت عنوان «وقل اعملوا»، إذ طالب أنصاره بالهجوم على السجون لإطلاق سراح أتباعه، وإنقاذ مقاتليه وعائلاتهم المحتجزين، متوعداً بـ»الثأر» لهم. كما دعا إلى استهداف رجال الأمن والمحققين والقضاة في السجون التي يقبع بها عناصر التنظيم.

ومع تغيير القيادة المركزية للتنظيم بعد مقتل البغدادي، وتعيين أبي إبراهيم القريشي، استمر التنظيم في تأكيد محورية تلك القضية بالنسبة له، إذ أكَّد المتحدث الرسمي باسم التنظيم أبو حمزة القريشي في كل خطاباته ضرورة تحرير أسرى التنظيم. فقد طالب القريشي في خطابه الثاني الذي جاء تحت عنوان «دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها» في كانون الثاني/يناير 2020، العناصر

1. قضيَّة فكِّ العاني مأخوذة من حديثٍ مرويٍّ عن رسول الله –صلَّى الله عليه وآله وسلَّم– أنَّه قال: ((فكُّوا العاني يعني الأسير...)). يُنظر: شرح الباري شرح صحيح البخاري: 6/193، ح: 2881. (المحرِّر).

* كاتب وباحث متخصص في شؤون الشرق الأوسط والحركات الإسلامية.

الداعشية القابعة في السجون بالثبات، كما دعا أنصاره لتحريرهم. كما أكَّد أيضاً في خطابه الثالث الذي جاء تحت عنوان «وسيعلم الكفار لمن عُقبى الدار» في أيار/مايو 2020، على أنَّ التنظيم يبذل أقصى الجهود للإفراج عن معتقليه في كل مكان. وفي خطابه الرابع والأخير الذي جاء تحت عنوان «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون» في تشرين الأول/ أكتوبر 2020، دعا عناصره إلى تحرير أسرى التنظيم بالقوة عن طريق اقتحام السجون المحتجزين فيها.

وتقوم إستراتيجية «هدم الأسوار» على عدِّ هدف «فك العاني، أي: إطلاق سراح المعتقلين، من أبرز الأهداف التي يسعى إليها تنظيم داعش. فقد أكَّدت افتتاحية العدد 246 من صحيفة «النبأ» التي تصدر عن ديوان الإعلام المركزي في داعش أنَّ قيادة التنظيم ما زالت تضع قضية الأسرى على رأس قائمة أولوياتها، وأنَّ ولاة الأمر ما زالوا يوصون إخوانهم بتقديم هذه القضية على ما عداها. وشدَّدت على أنَّ «الواجب الأخص على جنود الدولة الإسلامية أن يجعلوا هذا الأمر همهم الدائم الذي لا يغفلون عنه».

كما شدَّد قادة داعش بعد مقتل أبي إبراهيم القريشي على إستراتيجية هدم الأسوار. فقد حرَّض تنظيم داعش في عهد أبي الحسن القريشي القائد الحالي للتنظيم على مهاجمة السجون في السعودية، وجاء في افتتاحية مطوَّلة نشرها التنظيم في جريدته الرسمية «النبأ» في بداية شهر تموز/ يوليو 2022، أنَّ «على المسلمين في بلاد الحرمين أن يدركوا أنَّ إخوانهم في سجون آل سلول يسنتصرونهم ليفكوا قيدهم، ويحرروهم من عذابات الأسر».

وعموماً، اشتدت تحركات تنظيم داعش الإرهابي لإطلاق سراح المعتقلين في السنوات الثلاث الماضية. فمع فشل بعض هذه العمليات والخطط، إلا أنَّ بعضها، كالهجوم على سجن ننغرهار في أفغانستان (آب/أغسطس 2020)، وسجن كانجباي في الكونغو الديمقراطية (تشرين الأول/أكتوبر 2020) وسجن الصناعة بمحافظة الحسكة السورية (كانون الثاني/يناير 2022)، وسجن كوجي في العاصمة النيجيرية أبوجا (تموز/يوليو 2022)، كان ناجحاً وأدَّى إلى هروب بعض المعتقلين.

تسلِّط هذه الورقة التحليلية الضوءَ على أهمية إستراتيجية هدم الأسوار في إعادة بناء دولة الخلافة، وهو ما فرض ثلاثة أسئلة أساسية تسعى إلى الإجابة عليها: أولاً: ما أسباب تركيز القيادة المركزية لتنظيم داعش على إستراتيجية هدم الأسوار؟ وثانياً: هل مقاتلو داعش قادرون على تنفيذ عمليات ناجحة في المستقبل؟ وثالثاً: ما أثر نجاح العمليات وإطلاق سراح الأسرى على مستقبل تنظيم داعش؟

داعش وإستراتيجية هدم الأسوار في العراق

إستراتيجية هدم الأسوار واقتحام السجون في العراق ممتدَّة منذ بدء تأسيس أبي مصعب الزرقاوي جماعته في العراق، تحت مسمى جماعة «التوحيد والجهاد» التي كانت النواة الأولى لتأسيس تنظيم «داعش». إذ كانت العملية الأولى بقيادة الأردني عمر يوسف جمعة، المكنّى بـ»أبي أنس الشامي»، في محاولته السيطرة على «سجن أبو غريب» وتهريب عدد من التكفيريين في أيلول/ سبتمبر 2004. وفي أيار/ مايو 2011، نفَّذ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين عملية هجوم مكثف بالأسلحة الثقيلة على سجن القصور الرئاسية في البصرة جنوب العراق، استمر لستِّ ساعات متصلة، لتهريب (250) من القيادات القاعدية، تمكَّنت عبرها قوات الأمن العراقية، من قتل (11) قيادياً من تنظيم «القاعدة» البارزين، بينهم حذيفة البطاوي المعروف بـ»والي بغداد»، المخطط الفعلي للهجوم، بعد سيطرتهم على أسلحة قوات الأمن داخل السجن.

حاول –في نيسان/ أبريل 2011– عدد من قيادات تنظيم «القاعدة» الفرار من داخل سجن «تسفيرات الرصافة» في بغداد، عن طريق حفر نفق بطول (52) متراً، لكن قوات السجن تمكنت من ضبطهم قبل محاولة الهروب، وسبقها في كانون الثاني/يناير 2011، تنفيذ عملية هروب لعدد كبير من قيادات التنظيم من سجن البصرة، لم تتمكن التحقيقات الأمنية من كشف ملابساتها[2].

وجَّه زعيم تنظيم داعش أبو بكر البغدادي في 22 تموز/يوليو 2012 خطاباً لما يعرف بـ»مجلس شورى المجاهدين» دعاهم فيه إلى «هدم الأسوار» على المدى المنظور القريب لإخلاء القيادات على وجه الخصوص المعتقلين في السجون العراقية، في خطوة تمهيدية منه إلى تأسيس أرض التمكين الموعودة في أدبيات التنظيم، على الأكثر لم تؤخذ هذه التوجيهات على محمل الجد آنذاك، أو تنال اهتماماً واسعاً؛ للتحصين الكبير في السجون العراقية أولاً، ولمرور أشهر عديدة دون حصول هجوم يذكر على أي منها، ولا حتى ورود الأمر في التقارير الاستخبارية الرسمية للأجهزة الأمنية.

وقد أشارت بعض الآراء الأمنية آنذاك إلى أنَّ هذه التوجيهات قد تكون تمويهاً للغطاء على عمليات أخرى مغايرة، حينها كان التنظيم الإرهابي يعرف باسم «دولة العراق الإسلامية» بإشراف

2 .عمرو فاروق، «الدّواعش وعقيدة اقتحام السّجون»، جريدة النهار، 31 كانون الثاني /يناير 2022، على الرابط:
https://www.annahar.com/arabic/section/140-%D8%B1%D8%A3%D9%8A/31012022094429770.

أحد قياديي التنظيم المكنى بـ»أبي أنس» على حد زعمهم، وبعد عام كامل وتحديداً في 22 تموز/يوليو 2013 استطاع التنظيم اقتحام «سجن أبو غريب»، غرب العاصمة العراقية بغداد و»سجن التاجي»، شمال العاصمة وتهريب نحو (600) معتقل بينهم قيادات في تنظيم، مستعيناً بعناصر انتحارية وصواريخ و(12) سيارة ملغومة، ممَّا أدَّى إلى مقتل (120) من حراس السجن. وقد شكَّلت هذه العملية في حينه منعطفاً خطيراً في صعود نشاط التنظيم، لا سيَّما أنَّ معظم مَن أُطْلِق سراحهم كانوا من القيادات الكبيرة ومن طبقة «الأمراء» الشرعيين والعسكريين[3].

وفي العام 2019 وبعد خسارة التنظيم آخر معاقله في «الباغوز» السورية قرب الحدود الغربية للعراق، أصدر تنظيم داعش تسجيلاً صوتياً تحت عنوان «قل اعملوا» قبل مقتل أبي بكر البغدادي بأشهر، عبر مؤسسة الفرقان الإعلامية في خطاب موجَّه لأعضاء التنظيم بعد الانكسار الذي لحق بهم، تضمَّن التسجيل هدم الأسوار تحت عنوان «فكّ العاني»، القاصد بتحرير سجنائه المعتقلين في السجون العراقية والسورية، جاء فيها: «السجون السجون.. دكُّوا الأسوار وفكُّوا العاني يا جنود الخلافة، أيها الأخوة والأخوات ابذلوا قصارى جهدكم؛ لتحرير الجدران التي تقيُّدهم وهدمها».. في إشارة واضحة ممتزجة بالتأكيد على هذا السياق.

يواجه تنظيم داعش في العراق تحدياً خطيراً يتمثَّل في الافتقار إلى الموارد البشرية والعسكرية الكافية لاحتلال مناطق حساسة، فقد تقلَّص عدد مقاتلي داعش في السنوات الأربع الماضية نتيجة القتال المحتدم أو زجهم في السجون، خصوصاً أنَّ قوات الأمن والاستخبارات العراقية نجحت في اعتقال عديد من كبار قادة داعش في العامين الماضيين، فعلى سبيل المثال: في النصف الأخير فقط من عام 2020، أجرى جهاز مكافحة الإرهاب أكثر من) 150) عملية، أُلْقيَ فيها القبض على (250) من كبار قادة داعش وقتل)50 (آخرين، وفي الأشهر الأولى من العام 2021، نفذت وحدة مكافحة الإرهاب العراقية (110 (عمليات، اعْتُقِل فيها حوالي(100 (داعشي في مناطق متفرقة من العراق وقتل (34) شخصاً، من بينهم أبو ياسر العيساوي نائب خليفة التنظيم ووالي العراق، فيما أُلقي القبض على كثير من قادتهم بمن فيهم والي الفلوجة أبو علي الجميلي، وعاشور النعيمي مسؤول وحدة الإعدامات في ولاية الفلوجة سابقاً والملقب بعاشور الذباح، ونمر السويد الملقب بنمر بغداد[4].

3. حسين علي الأطرقجي، «إستراتيجية «هدم الأسوار» للبغدادي»، الترا عراق، 29 كانون الثاني/يناير 2022، على الرابط: https://ultrairaq.ultrasawt.com

4. علي نجات، «العراق وإمكانيات تصدر داعش المشهد مرة أخرى»، مركز البيان للدراسات والتخطيط، سلسلة إصدارات، آب/أغسطس 2021، ص 15.

لذا يحاول داعش في العراق تنظيم هجمات ضد سجون عراقية رئيسة، من أجل سد النقص الحاصل بقواتها المقاتلة، فبعد رسالة أبي بكر البغدادي في عام 2019، نظمت قوات داعش عمليات عديدة لإطلاق سراح السجناء في عام 2019، فكانت تنوي استغلال الاحتجاجات الشعبية لشن عملية كبيرة لمهاجمة السجون، بما في ذلك سجن الحوت في الناصرية وإجلاء الآلاف من أعضائه، كما أعلنت شرطة نينوى في تشرين الثاني/نوفمبر 2019، عن إفشال محاولة لتهريب عناصر داعش من سجن الموصل، ولم تتوقف جهود داعش إلى هذا الحد، بل حاولوا في كانون الثاني/يناير 2021، مرتين شن هجمات على سجني الكرخ وأربيل المركزيين.

كما حذَّر التحالف الدولي ضد تنظيم داعش، في 21 أيار/ مايو 2022، من مخطط يسعى داعش لتنفيذه بمهاجمة السجون العراقية. وقال رئيس أركان قوة المهام المشتركة في عملية «العزم الصلب» بقيادة التحالف الدولي، براندون باركر،[5] في تصريح متلفز، إن «داعش سيستمر في التخطيط لشن هجمات جديدة على السجون، لكن أعداد عناصر التنظيم في تراجع وما زالت تتراجع أكثر فأكثر»[6].

داعش وإستراتيجية هدم الأسوار في أفغانستان

شكَّل هجوم تنظيم داعش على سجن ننغرهار بولاية جلال آباد في أفغانستان، في مطلع آب/أغسطس 2020، خطوة تأسيسية على مسار إعادة إحياء إستراتيجية «هدم الأسوار» أو «فكّ العاني» التي عمل الزعيم السابق للتنظيم أبو بكر البغدادي على ترسيخ ركائزها، قبل أن يُقتل في غارة أمريكية على بلدة باريشا في ريف إدلب الشمالي في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2019. فبعد خسارة داعش آخر معاقله في «الباغوز» السورية، أصدر التنظيم تسجيلاً صوتياً تحت عنوان «قل اعملوا» قبل مقتل أبي بكر البغدادي بأشهر، عبر مؤسسة الفرقان الإعلامية في خطاب موجّه لأعضاء التنظيم بعد الانكسار الذي لحق بهم، تضمَّن التسجيل هدم الأسوار تحت عنوان «فكّ العاني»، القاصد بتحرير سجنائه المعتقلين في السجون العراقية والسورية، لكن الاستجابة كانت في رقعة جغرافية مختلفة تماماً عن الرقعة المقصودة «العراق والشام»، إذ كانت الاستجابة في سجن «ننغرهار» بمدينة جلال آباد الأفغانية، فر أثناء تنفيذ هذه العملية قرابة (500) معتقل من السجن.

5. Brandon Parke

6. ليث الكاتب، «التحالف يحذر من مخطط داعشي لمهاجمة سجون العراق»، العين الإخبارية، 21 أيار/ مايو 2022، على الرابط: https://al-ain.com/article/coalition-isis-threatens-iraq-prisons.

ولم يتطلَّب تنفيذ خطة اقتحام سجن ننغرهار، سوى اشتراك (11) مقاتلاً من مقاتلي التنظيم، قُسِموا على ثلاث مجموعات، فضلاً عن الانتحاري مفجر العربة المفخخة. وقد عملت المجموعة الأولى المؤلفة من أبي علي البنجابي وحامد الطاجيكي ومولوي سعد الخراساني، على تأمين التغطية النارية لوصول السيارة المفخخة التي قادها الانتحاري أبو رواحة الهندي، إلى بوابة السجن، ومن ثم عزل منطقة الهجوم ومنع قوات الشرطة الأفغانية من الاقتراب منها. وجاء دور المجموعة الثانية بعد الصدمة التي أحدثها تفجير السيارة المفخخة، حيث عمل عناصرها (قاري أسامة الخراساني وأبو عمر الطاجيكي وإسماعيل الطاجيكي وإدريس الطاجيكي والدكتور أبو حيان الهندي) على تدمير أسوار السجن بالعبوات الناسفة، تمهيداً لاقتحامه والاشتباك مع حاميته لساعات عديدة، قبل أن يتمكنوا من استهداف أبراجه الخلفية وقتل جميع من فيها، وهو ما أتاح لهم الوصول إلى الزنازين، حيث فتحوا الطريق للمعتقلين للهروب وأرشدوهم إلى الطرق المناسبة في الخارج. وفي غضون ذلك، كانت المجموعة الثالثة المؤلفة من عنصرين (أبو دعاء الهندي وخيبر الكابلي)، تعمل على إشغال القاعدة الأمريكية في المدينة، بهدف منعها من تقديم أي دعم لحامية السجن أثناء تعرضها للهجوم.

قُتل ما لا يقل عن (29) شخصاً هم مدنيون وسجناء في هجوم على سجن ننغرهار. وصرَّح مسؤول أمني أفغاني كبير بأنَّ أكثر من (1300) سجين حاولوا الفرار. وقال إنَّه أُلْقِي القبض على معظمهم أو استسلموا بعد محاصرتهم، لكن «270 ما زالوا هاربين». وقال المسؤول إنَّ معظم الهاربين ينتمون إلى ما يُسمَّى ولاية خراسان التابعة لتنظيم داعش. وأكَّد عطاالله خوجياني المتحدث باسم ولاية ننغرهار وعاصمتها جلال آباد أنَّ الهجوم بدأ بتفجير سيارة ملغومة عند بوابة مدخل السجن، ثم فتح عدد من المهاجمين النار على قوات الأمن، وهو ما أسفر عن فرار (1793) من السجناء (قُبِضَ على أكثر من 1025 بعد محاولاتهم الهرب)، وهو ما جعل الهجوم يحظى باهتمام إعلامي على المستويين الدولي والإقليمي[7].

7. «فرار العشرات من عناصر داعش إثر الهجوم على سجن بأفغانستان»، ميدل إيست اونلاين، 4 آب/أغسطس 2020، على الرابط: https://2u.pw/NNFfU

داعش وإستراتيجية هدم الأسوار في سورية

بعد انقطاع طويل منذ هزيمة تنظيم «داعش» في معركة الباغوز ربيع عام 2019، شقّ صوت انفجار سيارة مفخخة، يوم الخميس الموافق 20 كانون الثاني/يناير 2022، هدوء ليل مدينة الحسكة الخاضعة لسيطرة «قوات سوريا الديموقراطية»، معلناً عن منعطف جديد في مسار استعادة التنظيم قدراته القتالية وأساليبه التكتيكية، في تنفيذ هجمات نوعية قد تشكل دليلاً جديداً إلى صحة ما يقال حول خطر التنظيم، وإمكان عودته إلى تصدر المشهد بعدما أفل نجمه طوال الأعوام الثلاثة الماضية.

ففي عشية 20 كانون الثاني/يناير 2022، شنَّ تنظيم داعش هجوماً مركزاً استهدف سجن الصناعة الذي يقع على أطراف حي غويران جنوب مدينة الحسكة شمال شرق سورية ضِمن مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية وهذه أول مرَّة تتعرض فيه السجون أو مراكز الاحتجاز التي تحوي عناصر من تنظيم داعش لهجوم، في حين اقتصرت الحالات السابقة على الاستعصاء فقط؛ والتي بلغ عددها في سجن الصناعة (11 (مرة على الأقل بين عامَي 2020 و2021[8].

الهجوم بدء بتفجير التنظيم سيارة مفخخة كانت متوجهة إلى بوابة السجن الرئيسة بعد أن اعترضها الحاجز المؤدي إلى البوابة معلنا بدء الهجوم، ليقوم نحو (100) عنصراً من التنظيم بالهجوم من محاور عديدة على السجن بهدف خلق الفوضى، وتمكن مقاتلو التنظيم من إحداث خرق عند البوابة الرئيسة للسجن، بعد أن فجَّر انتحاري آخر نفسه بدراجة نارية على البوابة الرئيسة للسجن، ما ساعد بتسهيل مرور مقاتلي التنظيم إلى داخله.

بالتزامن مع بدء الهجوم، بدأ آلاف من السجناء استعصاء داخل السجن، إذ تمكن سجناء بعض المهاجع من خلع الأبواب وكسر الأقفال، كما نجح السجناء في أحد كتل السجن الثلاث من الخروج إلى الساحة، ومع فقدان حراسة السجن السيطرة تمكن عديد من سجناء التنظيم من الخروج خارج السجن والهروب جنوباً إلى حي الزهور الملاصق للسجن.

مقاتلي التنظيم في اللحظات الأولى للهجوم، قاموا بتفجير وإحراق صهاريج نفط في شركة سادكوب قرب السجن، بهدف خلق سحب دخانية في المنطقة لمنع طيران التحالف الدولي من

8. أنس الشواخ، «اختبار داعش لخطة هدم الأسوار: الهجوم على سجن الحسكة نموذجاً»، تقدير موقف، جسور للدراسات، كانون الثاني/يناير 2022، ص 4.

التدخل في المعركة، وهذا ما تسبب بإطالة أمد المعركة، وانقسمت خلايا التنظيم في الهجوم على ثلاث محاور قتالية، الأول في محيط السجن وداخله، والثانية في حي غويران الشرقي المتاخم للسجن، والجبهة الثالثة في حي الزهور، ووَفْق مصادر خاصة فإنَّ «العملية نفَّذتها مجموعات تابعة لكتيبة العاديات، وقادة العملية أبو المقداد العراقي قائد الكتيبة والعسكري العام للتنظيم في مناطق شرق الفرات»[9].

وفي اليوم الأول للهجوم، تمكَّن مقاتلو التنظيم من أسر وقتل العشرات من حراس وموظفي السجن والاستيلاء على أسلحتهم، واستخدم التنظيم هؤلاء الأسرى في عمليات التفاوض في أيام المعركة، حيث أطلق عديد منهم مقابل الحصول على الطعام والشراب لمقاتليه المحاصرين في السجن، فضلاً عن علاج المصابين منهم، أمَّا قسم من الأسرى فقام مقاتلو التنظيم بإعدامهم ميدانياً خاصة في اليومين الأخيرين للهجوم.

قوات سوريا الديمقراطية التي بدت مرتبكة ف اليومين الأول والثاني من الهجوم، تمكنت من استعادة توازنها في اليوم الثالث، إذ بدأت بتطويق بؤرة الاشتباك وتقليصها لتقتصر على داخل السجن ومحيطه القريب، وبدأت بمحاولة تسليم مقاتلي التنظيم الموجودين داخل السجن لأنفسهم من دون قتال، إذِ استسلم في الدفعة الأولى قرابة (1000) معتقل من كبار السن والمصابين والمعاقين من مقاتلي التنظيم، فيما سلَّم بعض الآخر نفسه في اليوم الرابع والخامس، أمَّا آخر المستسلمين كان مجموعة قتالية اتخذت من قبو السجن مكان لها وتحصنت داخله طيلة فترة الهجوم واستسلمت في 29 كانون الثاني/يناير آخر أيام العملية.

وفي 26 كانون الثاني/يناير، أعلنت قوات سوريا الديمقراطية انتهاء المعركة التي استمرت سبعة أيام في مدينة الحسكة في عملية عُدَّت الأكثر دموية والأكثر تعقيداً للجماعة الإرهابية في سوريا منذ سقوط «خلافتها» في آذار/مارس 2019[10].

9. Mohammed Hassan, Samer al-Ahmed, "A closer look at the ISIS attack on Syria's al-Sina Prison", February 14, 2022, https://www.mei.edu/publications/closer-look-isis-attack-syrias-al-sina-prison

10. Ido Levy, "Battle for al-Sinaa Prison: The Enduring Islamic State Threat in Syria", Jan 31, 2022, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/battle-al-sinaa-prison-enduring-islamic-state-threat-syria

ووَفْق بيان قوات سوريا الديمقراطية عن الحصيلة النهائية للهجوم، فقد بلغ عدد القتلى (117) من قوات «قسد»، (77) من حامية السجن و(40) من المقاتلين، فضلاً عن مقتل أربعة مدنيين، في حين بلغ عدد قتلى التنظيم من المهاجمين والسجناء قرابة (374) شخصاً. كما أسفرت العملية عن نزوح (45) ألف مدني من سكان المنطقة خوفاً من عودة داعش وَفْق تقديرات منظمة الأمم المتحدة.

كما تضاربت المعلومات الواردة حول عدد عناصر التنظيم الفارين من السجن نتيجة العملية والفوضى المرافقة لها، فمنها من قال إنَّ عدد الفارين تجاوز (200) عنصر، وآخرين قالوا إنَّ عدد الذين تمكنوا من الفرار لا يتجاوز (30) عنصراً، بينهم قياديين مهمين في التنظيم كانوا معتقلين داخل السجن.

ووَفْق بعض المصادر فإنَّ مقاتلي التنظيم قاموا بنقل الفارين بسيارات مدنية يملكونها وأخرى استولوا عليها عند دخول حي غويران على دفعات، من محيط السجن إلى منطقة السبع صكور في ريف الحسكة الجنوبي، ومن ثَمَّ عبر طرق فرعية بين منطقتي الشدادي والهول إلى بادية تويمين في ريف ديرالزور ثم إلى بادية الروضة على الحدود السورية العراقية، التي تشهد وجود ونشاط لخلايا التنظيم. كما أضافت المصادر أنَّ (4) من بين الفارين هم قادة مهمين في التنظيم عرف منهم، أبو دجانة العراقي أحد القادة العسكريين في التنظيم، وأبو حمزة شرقية قيادي سوري من ريف محافظة ديرالزور وينتمي لعشيرة الشعيطات، ووَفْق المعلومات فإنَّ قسماً من الفارين هُرِّبوا عبر نهر الفرات ومناطق سيطرة النظام السوري إلى البادية السورية بين مدينتي حمص وديرالزور، إذ يوجد التنظيم هناك[11].

على أية حال لقد مثَّلت عملية داعش على سجن الصناعة بالحسكة امتداداً للعمليات التي شنَّها التنظيم على السجون المحكمة في العراق وأفغانستان، ولا يمكن بحال من الأحوال وضع ما أقدم عليه التنظيم في خانة المغامرة أو عدِّه مجرَّد محاولة أو تعبيراً عن يأس يستبد بقياداته، بل إنَّ العملية مثَّلت أوسع مواجهة خاضها التنظيم منذ هزيمته في الباغوز وأراد عن طريقها تخليص الآلاف من سجنائه في سجون الحسكة واستثمار فرارهم في إرباك القوى الأمنية[12].

11. Mohammed Hassan, Samer al-Ahmed, "A closer look at the ISIS attack on Syria's al-Sina Prison", February 14, 2022, https://www.mei.edu/publications/closer-look-isis-attack-syrias-al-sina-prison

12. شورش درويش، «السجون بوصفها إماراتٍ نائمة»، نورث برس، 27 كانون الثاني/يناير 2022، على الرابط: https://npasyria.com/94843/

داعش وإستراتيجية هدم الأسوار في دول أخرى

تصاعدت محاولات تنظيم داعش لمهاجمة السجون تصاعداً ملحوظاً في الفترة القصيرة لقيادة أبي الحسن القريشي. فعلى سبيل المثال حرَّض تنظيم داعش على مهاجمة السجون في المملكة العربية السعودية. جاء في افتتاحية مطوَّلة نشرها التنظيم في جريدته الرسمية «النبأ» الجمعة الموافق 1 تموز/يوليو 2022، أنَّ «على المسلمين في بلاد الحرمين أن يدركوا أنَّ إخوانهم في سجون آل سلول يستنصرونهم ليفكوا قيدهم، ويحرروهم من عذابات الأسر». وأشار التنظيم إلى عمليات سابقة نفذتها خلايا أمنية تابعة له في السعودية قبل سنوات عديدة، فجَّر غبرها أحد مقاتليه نفسه بحزام ناسف أمام أحد السجون السعودية، مشبهاً الحدث بالعمليات التي استهدفت سجن «أبو غريب» الأمريكي في العراق.

وبالطبع تحريض التنظيم ضد السجون السعودية لا يُعدُّ الأول من نوعه، إذ سبق خرج زعيم التنظيم الأسبق، أبو بكر البغدادي، برسالة صوتية حرَّض فيها مؤيديه على مهاجمة السجون في السعودية. جاء هذا الطلب بعد أن أعلنت وزارة الداخلية السعودية في 6 أيار/ مايو 2014، اعتقال فريق مرتبط بداعش من (62) عضواً كان يخطط لشن هجوم في السعودية. وفي 21 من كانون الثاني/يناير 2015، داهمت قوات الأمن موقعين بمدينة جدة، الأول استراحة في حي الحرازات بداخلها معمل لتصنيع الأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة وشخصان مسلحان تحصنا داخل الموقع، وتبادلا إطلاق النار مع أفراد الأمن[13]. وفي مطلع أيار/مايو 2015، قال المتحدث الأمني في وزارة الداخلية السعودية، بسام عطية، إنَّ «عناصر تابعين لداعش موجودون في المملكة يتلقون أوامرهم من داخل سوريا».

وبعد أيام قليلة من هذه الرسالة، أطلق تنظيم داعش عملية ناجحة في القارة الأفريقية. إذ أعلن التنظيم، في يوم الثلاثاء الموافق 5 تموز/يوليو 2022 مسؤوليته عن اقتحام سجن كوجي في العاصمة النيجيرية أبوجا، وذلك في عملية أسفرت عن هروب نحو (440) سجيناً. ونقلت وكالة «أعماق» التابعة للتنظيم أنَّ «مقاتلي داعش اقتحموا سجناً للحكومة النيجيرية يوم الثلاثاء، بمدينة كوجي على أطراف العاصمة أبوجا بعد تهديم أسواره، ونجحوا في تحرير العشرات من الأسرى»[14].

13. «تنظيم «الدولة» يحرض على مهاجمة السجون السعودية»، عنب بلدي، 1 تموز/يوليو 2022، على الرابط:
https://www.enabbaladi.net/archives/586634

14 . «داعش يتبنى اقتحام سجن في العاصمة النيجيرية»،الشرق الأوسط، 6 تموز/يوليو 2022، على الرابط:
https://2u.pw/Wk62W

وجدير بالذكر أنَّ إجراءات تنظيم داعش لإطلاق سراح الأسرى في القارة السمراء كانت كبيرة بسبب ضعف الأمن في هذه الدول. حتى أنَّه في فترة قيادة أبي هاشم القريشي، تمكنت قوات داعش من إطلاق سراح جميع سجناء سجن كانجباي تقريباً ([15]) فقد شنَّ مقاتلين تنظيم داعش، في ساعات مبكرة، من صباح يوم الثلاثاء الموافق 20 تشرين الأول/أكتوبر 2020 هجوماً على سجن كانجباي بمدينة بيني شمال شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، متسببين بتحرير نحو 900 سجين من النزلاء. ونقلت صحيفة «نيويورك تايمز» على موقعها الإلكتروني تصريحاً لرئيس بلدية بيني، موديست باكواناماها، قال فيه:» لم يتبق سوى (100) سجين من بين أكثر من (1000) عقب هجوم متزامن على سجن كانجباي المركزي والمعسكر الحربي الذي يتولى الدفاع عنه. وتبنى تنظيم داعش الهجوم بوصفه انتصاراً له، وهو ما عدَّته صحيفة «التايمز» البريطانية، دليلاً على أنَّ التنظيم يعيد ترتيب صفوفه في أفريقيا، ويضع نصب عينيه تجديد خلافته المزعومة مستغلاً نقط الضعف الأمني في بلدان أفريقية، مع هزيمته في الشرق الأوسط[16].

أسباب تركيز تنظيم داعش على إستراتيجية هدم الأسوار

هناك عدد من الدوافع الأساسية التي دفعت قادة داعش لتأكيد إستراتيجية هدم الأسوار وتحرير الأسرى في دول مختلفة. فمن أهم أسباب تنظيم داعش ودوافعه لتبني إستراتيجية مهاجمة السجون، تحرير الأسرى؛ لتعويض النقص في قوات التنظيم وإعادة البناء. إذ يواجه تنظيم داعش في العراق وسورية وأفغانستان تحدِّي خطيراً يتمثل في الافتقار إلى الموارد البشرية والعسكرية الكافية لاحتلال مناطق حساسة، فقد تقلص عدد مقاتلي داعش في السنوات الأربع الماضية نتيجة القتال المحتدم أو زجهم في السجون. فعلى سبيل المثال قوات الأمن والاستخبارات العراقية نجحت في اعتقال عديد من كبار قادة داعش في العامين الماضيين، من بينهم أبي ياسر العيساوي نائب خليفة التنظيم ووالي العراق، فيما أُلْقِي القبض على كثير من قادتهم بمن فيهم والي الفلوجة أبي علي الجميلي، وعاشور النعيمي مسؤول وحدة الإعدامات في ولاية الفلوجة سابقاً والملقب بعاشور الذباح، ونمر السويد الملقب بنمر بغداد. كما أعلنت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة أنَّها ألقت القبض على قيادات بارزة في تنظيم داعش، في سوريا. لذا يحاول داعش، تنظيم هجمات

15. Erikas Mwisi Kambale, "Suspected Islamists free 1,300 prisoners from east Congo jail", October 20, 2020, https://www.reuters.com/article/ozatp-uk-congo-crime-idAFKBN2751R8-OZATP

16. «فرار مئات السجناء عقب هجوم ضخم على سجن شمالي الكونغو الديمقراطية.. وأصابع الاتهام تشير لـ«داعش»»، ستيب نيوز، 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، على الرابط: https://stepagency-sy.net/2020/10/20/

ضد السجون، من أجل سد النقص الحاصل في القوات القتالية. خصوصاً أنَّ داعش لم يعد بإمكانه الوصول إلى القوات الأجنبية؛ لأنَّ الدول التي تركت حدودها في عامي 2014 و2015 مفتوحة لدخول المقاتلين الأجانب إلى العراق وسوريا قد غيرت نهجها، ولا تتسامح مع ذلك لأسباب أمنية متعددة. بعبارة أخرى، تنظيم داعش بات أمام حاجة ملِحّة لموارد بشرية جديدة؛ نتيجة لتراجع القدرة على تجنيد عناصر على أساس الولاء والخبرة، وللاستنزاف الذي يتعرَّض له إثر العمليات العسكرية والحملات الأمنية، ممَّا يقتضي العمل على رفد صفوفه بالمعتقَلين السابقين لا سيَّما الأجانب. فتحرير الآلاف من مقاتليه المحتجزين، ما سيرفده بعدد كبير من المقاتلين من ذوي الخبرة في مختلف الاختصاصات، خصوصاً أنَّ التنظيم يعاني الآن من تراجع عمليات تجنيد مقاتلين جدد في مناطق وجوده في سورية والعراق. ويمثِّل الهروب من السجون أفضل فرصة لداعش لاستعادة قوته وسلاحه. لا سيَّما أنَّ تضم السجون الواقعة في المناطق الواسعة التي يسيطر عليها الأكراد في شمال سوريا نحو (12) ألف جهادي من نحو خمسين جنسية، وَفْق السلطات الكردية.

أمَّا العامل الثاني الذي يدفع داعش إلى التركيز على إستراتيجية هدم الأسوار فهو محاولة خلق الحافز بين مقاتلي التنظيم وداعميه. فالهجوم على السجون، حتى لو لم يكن ناجحاً تماماً، له تأثير رمزي كبير. فبعد هجمات تنظيم داعش على السجون، لا سيَّما الهجوم على سجن الصناعة، كان أنصار التنظيم في غاية الحماسة وعاد الحافز لدى أنصار تنظيم داعش الإرهابي. كما يريد مقاتلو داعش إثبات ولائهم لأوامر قادتهم عن طريق مهاجمة السجون، وباعتماد إستراتيجية هدم الأسوار وتحرير الأسرى، لتعزيز معنويات مؤيديهم وأعضائهم. لا سيَّما أنَّ داعش غير قادر على تنفيذ عمليات واسعة النطاق بسبب بعض النواقص ومنها قلة القوات. لذا، عن طريق تبني إستراتيجية مهاجمة السجون، التي لا تتطلب قوات كبيرة، فضلاً عن تحرير القوات واستقطاب مقاتلين جدد، يمكن أن يزيد من دافعية قواتها التي أضعفت مؤخراً بسبب مقتل قائدها. في الواقع أنَّ عملية هدم الأسوار هي استعراض لقوة التنظيم لكي يظهر لمؤيديه أنَّ هذا التنظيم ما يزال بإمكانه الاعتماد على نفسه وتوفير المعدات والقوة اللازمة لتنفيذ العملية، خصوصاً أنَّ حجم الخسائر صغيرة مقارَنة مع المكاسب للتنظيم[17].

17. علي نجات، «يورش به زندانها؛ راهبرد داعش براى بازسازى خلافت»، (الهجوم على السجون؛ إستراتيجية داعش لإعادة بناء الخلافة)، راهبرد معاصر، 16 آب/ أغسطس 2020، على الرابط: https://rahbordemoaser.ir/fa/news/55051/

والعامل الثالث الذي يشجع داعش على اتباع إستراتيجية هدم الأسوار هو اكتساب النفوذ واستعادة قوة التنظيم. فمن جهة يهدف التنظيم من تلك التحركات إلى استعاده نفوذه مرة أخرى، وذلك عن طريق التعويل على عناصره القابعة في السجون بعد تحريرها، ما يُعيد للأذهان توظيفه لتلك الإستراتيجية في العراق بين عامي 2012 و2013، ونجاحه في تحرير أعداد كبيرة من عناصره من السجون العراقية، وهؤلاء هم من شَكّلوا بعد ذلك قوام عملياته الرئيسة في سوريا والعراق. ومن جهة أخرى قيادة التنظيم باتت تشعر بضرورة طمأنة عناصره ومعتقَليه ومناصريه إزاء امتلاكه القدرة على العودة من جديد واستكمال الخُطى نحو الخلافة الثانية والتي بدأها مع إطلاق مرحلة غزوات الاستنزاف منتصف عام 2019. فضلاً عن أنَّ التنظيم يعمل على إعادة التموضع بعد فقدانه السيطرة على معاقله الرئيسة، ولذا كان الانتقال الإستراتيجي للتنظيم إلى منطقتي آسيا وإفريقيا لما يتوفَّر في كل منهما من عوامل محفزة للإرهاب والتطرف؛ حيث الصراعات الطائفية، والانقسامات العرقية، والتباينات الدينية. وعليه، يسعى إلى تحرير عناصره من السجون والاستثمار فيها من أجل بسط سيطرته داخل الساحات الجديدة التي انتقل إليها.

وأمَّا المتغير الرابع الذي يدفع تنظيم داعش إلى التركيز على إستراتيجية هدم الأسوار هو الدعاية الإعلامية وإحراج المنافسين. يتطلَّع التنظيم إلى زيادة رصيده الدعائي، وذلك عبر تنفيذ وعوده المتعلقة بتحرير عناصره وأتباعه، ممَّا من شأنه إرسال رسالة تتعلق بقدرته على حماية أفراده وامتثاله لعهوده من جهة، وقدرته على تهديد أمن الدول والمجتمعات من جهة أخرى، ما يعزز من صورته الجهادية مرة أخرى. كما يسعى التنظيم إلى إحراج كل من تنظيم القاعدة وجماعة طالبان وجماعة نصرة الإسلام والمسلمين، إذ لجأت إلى التفاوض مع الحكومات لتحرير أسراها، ومن ثَمَّ يرسل داعش رسالة مفادها أنَّ «ما حُصِلَ عليه بالصفقات السياسة والمفاوضات، هو قادر على تحقيقه بالقوة والسلاح»، ما يعزز شرعيته وأيديولوجيته، ويرسخ صورته، وثباته على نهجه.

تداعيات تحرير الأسرى على مستقبل تنظيم داعش في العراق

يُمثل اقتحام سجني «كانجباي» و«ننغرهار» و«الصناعة» نموذجاً لما يمكن أن يقوم به التنظيم في العراق، ولا سيَّما أنَّ العراق يحتجز نحو (12) ألف عنصر من عناصر التنظيم. لذا أثارت عملية هجوم تنظيم داعش الإرهابي على سجن الصناعة في منطقة غويران في مدينة الحسكة السورية، مخاوف الشارع العراقي الذي تساءل حول ما إذا كان داعش قادراً على شن عمليات

هجومية في الساحة العراقية مشابه لتلك التي جرت في الحسكة؟ وهل ستشهد الحدود العراقية السورية تصاعد في عمليات التسلل لعناصر داعش باتجاه العمق العراقي؟ خصوصاً بعد أن كشفت جريمة حاوي العظيم وعملية اقتحام سجن الصناعة في غويران والهروب منه عن وجود تحديات جمة في عملية القضاء على فلول داعش الذين أظهروا قدرة فائقة على التكيُّف مع المتغيرات والظروف الأمنية في العراق وسوريا. وهل ستكرر سيناريو هدم الأسوار من جديد في العراق؟

يتوزع معتقلو تنظيم داعش الإرهابي في العراق على سبعة سجون موزعة على عدد من المحافظات وكما يلي: 1. سجن التاجي المركزي، 2. سجن الكرخ المركزي (غروبر)، 3. سجن العدالة (الكاظمية)، 4. سجن الناصرية المركزي (الحوت)، 5. سجن البصرة المركزي، 6. سجن بابل الإصلاحي المركزي (الكفل)، 7. سجن الفيصلية بمُحافظة نينوى.

أثارت واقعة سجن غويران في محافظة الحسكة السورية مخاوف في الشارع العراقي من تكرار سيناريوهات ما قبل 2014، إذِ اقتحم عناصر التنظيم حينها عدداً من السجون العراقية فاتحين المجال أمام المئات من المقاتلين للفرار. وأطلقت داعش حينها حملة واسعة على السجون العراقية أسمتها «هدم الأسوار»، ونجح مقاتلوها في اقتحام سجني أبو غريب والتاجي في هجومين متزامنين وتحرير أكثر من (500) مقاتل، بينهم قادة في التنظيم. ومكَّن هجوما التاجي وأبو غريب تنظيم داعش من تعزيز صفوفه والتمهيد للاستيلاء على مساحات شاسعة في العراق وسوريا.

وقد استنفرت القوات العراقية ورفعت درجة استعدادها القتالي في المنطقة الحدودية العراقية السورية التي تمتد إلى ما يقارب (617) كلم واتخذت إجراءات أمنية مشددة على طول الشريط الحدودي لمنع أية حالة تسلل إلى الأراضي العراقية مع بعد المسافة بين الحدود والحسكة. وأعادت وحدات من الجيش العراقي انفتاحها في منطقة الحدود العراقية السورية بإسناد مفارز الطائرات المسيرة من الاستخبارات العسكرية، في وقت زار عدد من المسؤولين وعلى رأسهم القائد العام للقوات المسلحة مصطفى الكاظمي المناطق الحدودية للوقوف على حالة الاستعداد القتالي للقطعات الماسكة للأرض، في وقت قامت استخبارات جهاز مُكافحة الإرهاب بتفتيش السجون التي يقبع بها معتقلي داعش الإرهابي وحصلت على معلومات مهمة ودقيقة تتعلق بخلايا الإرهاب التي تحاول خلق موطئ قدم لها في العراق ودول المنطقة[18].

18 . عماد علوّ، «ماذا بعد هجوم الحسكة؟»، صحيفة الزمان، 2 فبراير 2022، على الرابط: https://www.azzaman.com/

إنَّ نجاح تنظيم داعش في تحرير الأسرى له تداعيات عديدة، من بينها إعادة ترتيب صفوفه وتعزيز قدراته بمزيد من المقاتلين من ذوي الخبرة، وتنفيذ عمليات نوعيَّة ضد أهداف حيوية عسكرية وأمنية وعلى نطاق أوسع في سورية والعراق، كمحاولة استهداف مخازن الأسلحة أو المواد اللوجستية الكبيرة أو المرافق والمنشآت وغيرها، وتفوقه على تنظيم القاعدة، وتعزيز الحافز لقواته وداعميه. في الحقيقة عملية مهاجمة السجون من قبل تنظيم داعش لها تأثير إيجابي على الروح المعنوية لقواتها حتى مع الفشل.

مجمل القول، يسعى تنظيم داعش إلى إعادة تشكيل صفوفه بهدف استعادة نشاطه مرة أخرى، ومع الضغط العسكري الذي مورس عليه من قبل القوات الأمنية في مناطق مختلفة، إلا أنَّه ما زال قادراً على تنويع إستراتيجيته، مستفيداً ممَّا يتمتع به من مرونة وقدرة على التكيف. وعليه، تمثل إستراتيجية «هدم الأسوار» مرحلة تمهيدية للتنظيم من أجل صحوة جديدة بعد الكمون النسبي[19].

الخاتمة

أعلن العراق في كانون الأول/ ديسمبر 2017، النصرَ النهائي على تنظيم داعش واسترجاع جميع المدن التي فرض سيطرته عليها إبان أحداث حزيران/ يونيو 2014. كما أكَّدت قوات سوريا الديموقراطية في آذار/مارس 2019 القضاء التام على تنظيم داعش الإرهابي، بعد ستة أشهر من إطلاقها هجوماً واسعاً بدعم من التحالف الدولي بقيادة أمريكية على آخر جيب للتنظيم في شرق سوريا. ولكن التنظيم الإرهابي عاد منذ مطلع عام 2020 إلى تنظيم خلاياه وشن الهجمات التي تستهدف أغلبها المدن الحدودية والقوات الأمنية.

تمكن تنظيم داعش من القيام باستدارة كبيرة عبر عمليات التكيف وإعادة الهيكلة. وعلى صعيد التكتيكات الميدانية والعسكرية والأمنية وعلى صعيد الخطاب الإعلامي والسياسي، بدأ بإعادة ترتيب أولوياته وَفْق المناطق، لكن على صعيد الخطاب يُفسر التنظيم خسارته العسكرية بتواطؤ الدول الكبرى والإقليمية عليه، ويوظِّف ذلك على الصعيد الطائفي أيضاً والإقليمي، فوَفْقاً لكتاب إدارة التوحش تُعدُّ المرحلة الحالية التي يعيش فيها التنظيم هي مرحلة شوكة النكاية والإنهاك والتي تتمثل بالعمل على إنهاك العدو عن طريق العمليات المتواصلة.

19. Toqa Alnajaar, "Breaking the Walls': The Islamic State's strategy for a comeback", November 18, 2020, https://en.ecss.com.eg/1836.

وفي المرحلة الثانية من صعود تنظيم داعش، يعتمد هذا التنظيم على مسارات جديدة، لمراوغة الأجهزة الأمنية والاستخباراتية، إذ اتبع تنظيم داعش نهجاً جديداً في تنفيذ عملياته الإرهابية، والتركيز على إستراتيجية هدم الأسوار. ويأتي اعتماد تنظيم داعش الإرهابي في اقتحام السجون، من قبيل العقيدة الراسخة لديه؛ والتي جاءت تحت عديد من المسميات التي أطلقها التنظيم في كتيباته، والتي منها «إستراتيجية هدم الأسوار» أو «فكّ العاني» والمعروفة بما يسمى بـ«تحرير الأسير»، إذ تدور جميعها حول طرائق تهريب العناصر التكفيرية التي تقبع في السجون وفقاً لمرجعية شرعية صيغت منذ زمن بعيد على أيدي عدد من رموز الجماعات والتنظيمات الإرهابية.

فالهجوم على السجون المركزية يعد من العمليات الصعبة، إذ يحتاج إلى تخطيط وتصميم دقيقين ومنظمين، وقوات مدربة، فضلاً عن عمليات مراقبة طويلة ورصد للأوضاع خارج السجن وداخله، خصوصاً أنَّه يقع في منطقة شبه عسكرية، وذلك حتى يمكن تحديد نوعية الحراسة ونوباتها المختلفة والأسلحة المتوفرة، والأهم من ذلك تحديد مكان إقامة العناصر والقيادات البارزة داخل السجن، وهو ما يتطلب معلومات تأتي من داخله.

ويأتي سعي التنظيم إلى اقتحام السجون في سياق إستراتيجية وضعها زعيمه السابق أبو بكر البغدادي قبل مقتله بشهور، وعملت قيادة التنظيم في عهد أبي إبراهيم القريشي وأبي الحسن القريشي على اعتمادها والسعي إلى تطبيقها. ففي فترة ولاية أبي إبراهيم القريشي ركَّز التنظيم على تطبيق هذه الإستراتيجية واتضح ذلك في قيامه بعدد من العمليات الكبرى التي استهدفت الهجوم على السجون، أبرزها الهجوم على سجن «ننغرهار» المركزي شرق أفغانستان وتهريب حوالي (300) سجين. كذلك اقتحام سجن «كانجباي» المركزي في منطقة «بيني» شرقي الكونغو وفرار حوالي (900) سجين، فضلاً عن تنفيذه الاستهداف الموسع لسجن الصناعة في مطلع العام 2022 بهدف تهريب عناصره القابعة هناك. كما نجحت محاولات التنظيم لمهاجمة السجون في الفترة القصيرة لقيادة أبي الحسن القريشي، ممَّا أدَّى إلى هروب نحو (440) سجيناً من سجن كوجي في العاصمة النيجيرية أبوجا.

في الغالب، لن يتمكن تنظيم داعش من إعادة تمركزه جغرافياً في سوريا والعراق تحديداً، لأسباب كثيرة ومتعددة، لكن عمليات الهجوم على السجون واقتحامها، تمثل مؤشراً خطيراً إلى حالة الاستفاقة على مختلف المستويات في تنفيذ الهجمات المسلحة، لا سيَّما أنَّ التنظيم يعتمد على

إستراتيجية حرب العصابات، والجهاد المنخفض التكاليف، ومحاولة استنزاف خصومه عن طريق ذئابه المنفردة، وإعادة بلورة الصورة الذهنية التي توحي بقوته وقدرة نفوذه على الاستمرار والمواجهة، وفقاً لما يُعرف بـ(البروباغندا) الإعلامية.

ومن المرجَّح أن تُعزِّز عملية تحرير الأسرى التي يتبناها التنظيم نشاطه في الساحتين الأفريقية والآسيوية، ما ينعكس على نجاحه في إعادة التموضع في الساحات الجديدة التي انتقل إليها، ومن ثم تُتيح له تلك العناصر التمدد في مساحات منافسه خصمه التقليدي تنظيم القاعدة.

ختاماً يبقى تعبير «القنبلة الموقوتة» في معرض وصف السجون المكتظَّة بمقاتلي داعش بالغ الدقَّة. والجدير بالذكر أنَّ استيلاء داعش على مناطق في سورية والعراق عام 2014 قد سبقته عمليات في إطار إستراتيجية هدم الأسوار التي حرَّرت مئات الجهاديين من الاعتقال. وبما أنَّ أكثر من (10.000) من عناصر داعش معتقلون حالياً في السجون العراقية، فمن الضروري لهذا البلد اتخاذ إجراءات وقائية لمنع تكرار سيناريو سجني أبو غريب والتاجي عام 2013 وسجن الصناعة بالحسكة عام 2022. ومن بين هذه التدابير الوقائية، يمكن ذكر ما يلي:

- زيادة حراس السجون التي تضم العديد من عناصر داعش.
- تقوية أبواب مداخل السجون بالسبائك القوية.
- توفير معدات متطورة للسجون التي تحتوي على العديد من عناصر داعش.
- منع نشوب استعصاء و أعمال شغب في السجون.
- الحرص على عدم إفشاء المعلومات من داخل السجون إلى الخارج.
- التعرف على خطط أسرى داعش عن طريق عمليات التجسس.
- الإسراع في محاكمة وتنفيذ العقوبات بحق إرهابيي داعش.
- رفض تسلم أيٍّ من قيادات داعش من الأصول غير العراقية.
- عدم القبول باستلامه الجنسيات الأخرى من تنظيم داعش.

المراجع

- أنس الشواخ، «اختبار داعش لخطة هدم الأسوار: الهجوم على سجن الحسكة نموذجاً»، جسور للدراسات، تقدير موقف، كانون الثاني/يناير 2022، ص 4.

- حسين علي الأطرقجي، «إستراتيجية "هدم الأسوار" للبغدادي»، الترا عراق، 29 كانون الثاني/يناير 2022، على الرابط: https://ultrairaq.ultrasawt.com

- شورش درويش، «السجون بوصفها إماراتٍ نائمة»، نورث برس، 27 كانون الثاني/يناير 2022، على الرابط: https://npasyria.com/94843/

- علي نجات، «العراق وإمكانيات تصدر داعش المشهد مرة أخرى»، مركز البيان للدراسات والتخطيط، سلسلة إصدارات، 29 آب/ أغسطس 2021، ص 15.

- علي نجات، «يورش به زندانها؛ راهبرد داعش برای بازسازی خلافت»، (الهجوم على السجون؛ إستراتيجية داعش لإعادة بناء الخلافة)، راهبرد معاصر، 16 آب/ أغسطس 2020، على الرابط: https://rahbordemoaser.ir/fa/news/55051/

- عماد علوّ، «ماذا بعد هجوم الحسكة؟»، صحيفة الزمان، 2 ؟؟/فبراير 2022، على الرابط: https://www.azzaman.com

- عمرو فاروق، «الدّواعش وعقيدة اقتحام السّجون»، جريدة النهار، 31 كانون الثاني / يناير 2022، على الرابط:

https://www.annahar.com/arabic/section/140

- ليث الكاتب، «التحالف يحذر من مخطط داعشي لمهاجمة سجون العراق»، العين الإخبارية، 21 أيار/ مايو 2022، على الرابط:

https://al-ain.com/article/coalition-isis-threatens-iraq-prisons

- «فرار مئات السجناء عقب هجوم ضخم على سجن شمالي الكونغو الديمقراطية.. وأصابع الاتهام تشير لـ"داعش"»، ستيب نيوز، 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، على الرابط: htt-ps://stepagency-sy.net/2020/10/20/

- «فرار العشرات من عناصر داعش إثر الهجوم على سجن بأفغانستان»، ميدل إيست اونلاين، 4 آب/أغسطس 2020، على الرابط: https://2u.pw/NNFfU

- «تنظيم "الدولة" يحرض على مهاجمة السجون السعودية»، عنب بلدي، 1 تموز/يوليو 2022، على الرابط:

https://www.enabbaladi.net/archives/586634

- «داعش يتبنى اقتحام سجن في العاصمة النيجيرية»،الشرق الأوسط، 6 تموز/يوليو 2022، على الرابط: https://2u.pw/Wk62W

- Ido Levy, "Battle for al-Sinaa Prison: The Enduring Islamic State Threat in Syria", Jan 31, 2022, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/battle-al-sinaa-prison-enduring-islamic-state-threat-syria

- Erikas Mwisi Kambale, "Suspected Islamists free 1,300 prisoners from east Congo jail", October 20, 2020, https://www.reuters.com/article/ozatp-uk-congo-crime-idAFK-BN2751R8-OZATP.

- Toqa Alnajaar, "Breaking the Walls': The Islamic State's strategy for a comeback", November 18, 2020, https://en.ecss.com.eg/1836.

• Mohammed Hassan, Samer al-Ahmed, "A closer look at the ISIS attack on Syria's al-Sina Prison", February 14, 2022, https://www.mei.edu/publications/closer-look-isis-attack-syrias-al-sina-prison